علم البلاغة فی سورة « العلق »

ملخّص المقال

علی الفقیهی

چکیده :

قرآن کریم معجزهٔ جاوید پیامبر اکرم ما است این معجزه از ابعاد مختلف می باشد : از نظر معانی و مفاهیم ارزشمندی که درک آن برای مغزهای بشری مشکل است و نیز از نظر پرده برداشتن از اسراراین عالم ، که پس از قرنها ، کشفیات جدید آن را آشکار کرده است ، و از همه مهمتر فصاحت و بلاغت آنست که همهٔ عربها را با وجود پیشرفت شگفتی که دراین فن داشتند حیرت زده کرد. در این مقاله از یکی از سوره های قرآن یعنی «علق »که با وجود کوتاهی ، مملو از مسائل بلاغی و نکات ادبی است سخن می رود.

القرآن الکریم هو المعجزة الخالدة لنبیّنا محمّد صلّی الله علیه و آله و یعتبر إعجازا من نواح متنوّعةمن المعانی القیّمة التی لا تصل إلیها الافهام خاصّة فی تلک البیئة و فی ذلک العصر ومن إخباره عن أسرار هذا العالم التی کشُف عنها العلم الحدیث و من کونه مبدأ لعلوم مختلفة و لکن الأهمّ من ذلک کلّه هو البلاغة و العرب مع أنها امتازت و

بلغت الدّورة فيها حارت أمـــام بلاغة القرآن و سندرس فی هذا المقال سوره «العلق» الّتی تحتوی مع قصرها علـــم البلاغة من أقسام الخبر و أحوال المسند و المسند إليه و متعلّقات المسند و المجاز العقلیّ و وضع الظاهـــر موضع الضّمير و العدول عن مقتضی الظاهر و الإلتفات و القصر و الفصل و الوصل و الإيجازو الإطناب و المسا واة و المجاز المرسل و الإستعارة والمجاز المركب بغيـــر الإستعارة و الكناية فإنّک لا تجد مسألة من مسائل البلاغة إلاّ و لها شاهد من هذه السّورة و مع ذلک فإنّ أعاظم المفسّرين لم يتعرّضوا لبلاغتها والزمحشری مع اهتمامه بجانب البلاغةفی تفسيره « الكشّاف» أشار إلی ثلاثة منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرأ باسم ربّکَ الّذی خلق ١ خلق لإنسان من علق ٢ اقرأو ربُّکَ الأكرم٣ الّذی علّم بالقلم ٤ علّم الإنسان مالم يعلم ٥ كلّا إنَّ الإنسان ليطغی ٦ أن رآه استغنی ٧ إنَّ إلی ربّک الرّجعی ٨أرأيت الّذی ينهی ٩ عبداً إذا صلّی ١٠ أرأيت إن كان علی الهدی ١١ أوأمربالتّقوی ١٢أرأيت إن كذّب و تولّی ١٣ ألم يعلم بأنّ الله يری ١٤ كلاّلئن لم ينته لنسفعاً بالنّاصية ١٥ ناصية كاذبة خاطئة ١٦ فليدع نادية ١٧ سندع الزّبانية ١٨ كلاّ لا تطعه و اسجد و اقترب١٩

فضلها :عن أبی عبدالله عليه السلام قال من قرأمن يومه أو فی ليلته إقرا باسم ربّک ثم مات فی يومه أو فی ليلته مات شهيداًو بعثه الله شهيداًو أحياه كمن ضرب بسيفه فی سبيل الله مع رسول الله صلّی الله عليه و آله و سلّم .

أكثر المفسّرين علی أنّ هذه السّوره أوّل ما نزل من القرآن و أوّل يوم نزل جبرئيل علی رسول الله و هو قائم علی حراء علّمه خمس آيات من أوّل هذه السّورة[1] .

ويجب قبل دراسة السورة أن نلاحظ أنّ فی علم البلاغة بحوثاً خارجةعنه و هی التشبيه و إنّما تعرّضوا له لابتناء الاستعاره عليه والاستعارةالمكنّية و التخييلية كما هو الحقّ عند الخطيب القزوينی والتفتازانی و عندنا وذالک لأنّ الاستعاره المكنيّة

١ -فضل بن الحسن ، الطبرسی ، مجمع البيان ، ج ١، ص ٥١٣.

هی فی الحقیقة تشبیه حذف أرکانه سوی المشبّه و القرینة علی التشبیه هی إثبات ما لیس للمشبّه له و تسمّی هذه القرینة بالاستعارة التخییلیّة کقول این زیدون

ویـــا نسیـــم الصّبا بلّغ تحیّتنا من لو علی البعد حیّا کان یحیینا

فإنّ الإستعارة فی نسیم الصبا مکنیّة وفی « بلّغ تحیّتنا » تخییلیّة وأمّا المجازالمرکّب بالإستعارة أو فقل المثل فهووإن کان داخلاً فی علم البیان و لکنّی لم أرمن أتی بشاهد له من القران الکریم .

وأمّا البدیع فهوأیضاًخارج عن علم البلاغة لانه علم تعرف به طرق تحسین الکلام و تنمیقه ولا دخل له فی بلاغة الکلام .

(بسم الله) أی بسم الله أقرأ[۲]حذف المتعلّق للإیجازوهو من إیجاز الحذف قدِّم الجارو المجرور علی متعلّقه لإفادة القصر و ذلک لأنّ من طرقه تقدیم ما حقه التأخیر وهومن قصر الصفة علی الموصوف و قصر قلب والمعنی أقرأ اسمه لا اسم غیره.

عرّف المضاف إلیه بالعلمیّة أی اسم الجلالة دون سائر المعارف لأنّه أعرف المعارف .

(الرّحمن الرّحیم) صفتان لاسم الجلالة و الغرض من إیراد هما مدح الموصوف **(إقرأ)** فعل امر فهومن أقسام الإنشاء الطّلبی استعمل فی معناه الحقیقی وهوطلب الفعل بنحو الاستعلاء أی للمعنی الاسمی علی ما ذهب إلیه البلغاء ومذهب الأصولییّن المتأخّرین هو آنّ الأمروضع للنسبة الطلبیة القائمة بین المتکلم والمخاطب و المادّة .

(باسم ربّک) الباء زائدة و والتّقدیر اقرأ اسم ربّک **(ربّک)** مضاف إلیه جیء بها دون اسم الجلالة للإشارة إلی المعنی الوصفیّ بمنزلة العلّة و المعنی إقرأاسمه لأنّه ربّک. **(الّذی خلق)** الموصول فی موضع جرّنعت لـــ « الربّ».

۲ –مسعود بن عمر التفتازانی ، المطوّل ، ص ۲۳۱.

(خلق) الفعل متعد لم يذكر له مفعولٌ ففيه وجهان الأوّل تقديرالمفعول كما ذهب إليه أكثرالمفسّرين أى خلق كل شىء فيكون الغرض من حذفه التعميم مع الاختصارومن ذلک قوله تعالى الرحمن علّم القرآن أى علّم الناس كلّهم الثّانى عدم تقدير المفعول و تنزيل الفعل المتعدى منزله الفعل اللاّزم لعدم تعلّق الغرض بايراد المفعول و هو الحقّ عندنا الحذف خلاف الأصل مع أنّ الموصول وصلته علةاخرى لقراءة إسمه فالمعنى على هذا الوجه إقرا اسمه الخلق حصل منه .

(خلق الإنسان) بدل لــ «خلق»الأولى و يجوز أن تكون تأكيداً لفظيّاً ولم تعطف عليها لكمال الإتصال كما لم تعطف على «إقرآ»لاختلافهما فى الخبر و الإنشاء . خصّ الإنسان بالذّكرمن بين ما يتناوله الخلق لأنّ التّنزيل إليه وهوأشرف ما على الأرض[٣] . تكرير « خلق » إطناب بذكر الخاصّ بعد العامّ والغرض منه التّنبيه على فضل الخاصّ .

(من علق) بينها و بين «خلق » فى الصلة سجع لاتفاقهما فى الحرف الأخير أى القاف وهما متّحدان فى الكلام أى فيما قبل الأخير أيضاً فبينهما «لزوم ما لا يلزم»ومن ذلک قول أبى تمام

إذاما امتطى الخمس اللّطاف وأفرغت عليــه شعاب الفكر وهــى حــوافل

أطاعته أطراف القنــــا و تقــوّضت لنجواه تقــويض الخيــــام الجحافل

(إقرأ) فعل أمر تآكيد لــ« إقرأ» الأول ولذلک لم تعطف عليها ولم تعطف على «خلق» لاختلافهما فى الخبر و الإنشاء و الإطناب فيها من نوع التّكرير للاهتمام بشأنها.

(وربّک الأكرم) الواو للحال و «ربّک »مبتدا و « الأكرم » خبره أى أعظم كرماً فلا يبلغه كرم كريم لأنّه يعطى من النّعم مالا يقدر على مثله غيره فكلّ نعمة توجدمن جهته تعالى إما بأن إخترعها و إمّا بأن سبّبها و سهّل الطريق إليها[٤].

---

٣ -جارالله محمود بن عمر ، الزّمخشرى . الكشّا ف ج٤ ، ص ٧٥٥.

٤ - فضل بن الحسن ، الطبرسى ، مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٥١٤.

والأصل أن يقال وهو الاكرم لتقدّم ذكرالمسند إليه فيكون الكلام على خلاف مقتضى الظاهرللعدول عن الضمير بايراد الاسم الظاهر و الغرض تقوية داعى النبىّ صلى الله عليه وآله .

المسند إليه أى المبتدا معرف بالإضافة و المسند معرّف باللام مع أنّ الأصل فى المسند التّنكير والغرض من تعريفه إفادة حصر المسند فى المسند إليه حقيقة كقوله تعالى و هو العليم القدير.

(الذى علّم بالقلم) « الذى »فى موضع رفع لأنّها نعت لقوله «ربّک »نزّل «علّم» منزلة الفعل اللاّزم و ترک مفعولاه لأن الغرض من إيراد الوصف بيان أن نعمة الكتابة صادرةمنه تعالى أى أنّ الغرض إفادة تلبّس الفعل بمن صدرعنه فيشبه قولک سرق النّاطور فى آنّ الغرض بيان أن السّرقة وقعت ممن لا يبرقب منه لا أنّ المسروق ما هو راجع كتابنا «اصول البلاغة فى المعانى و البيان و البديع » الذى سيطبع قريباً للوقوف على مواضع ذكرالمفعول و تقديره و تركه . ويكفى فى فضل الكتابة إقسامه تعالى بالقلم بقوله «ن والقلم و ما يسطرون ».

(علّم الإنسان ما لم يعلم) من انواع الهدى والبيان و امور الدّين و الشّرائع و الأحكام فجميع ما يعلمه الإنسان من جهته سبحانه إمّا بأن اضطرّه إليه و إمّا بأن نصب الدليل عليه فى عقله و إمّا بأن بيّنه على ألسنة ملائكته و رسله فكلّ العلوم على هذا مضاف إليه[٥] و الايجاز فى «ما لم يعلم »إيجاز القصر .

لم تعطف «علّم »على « علّم »الأولى لانّهما متّحدان فى المسند و المسند إليه فيدخل فى كمال الإتصال ويكون التّكرير إطناباو بين الاكرم و القلم ولم يعلم سجع مطرّف لاختلاف الفواصل فى الوزن و لإتّحاد فى الحرف الأخير .

---

٥ – نفس المصدر السّابق ، ص ٥١٥.

(كلاّ) ردع عمّا يستفاد من الأيات السّابقة أنّه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم و سائر ما علّم و التّعليم من طريق الوحى فعلى الإنسان أن يشكره على ذلک لكنّه يكفر بنعمته تعالى و يطغى [٦].

(إنّ الإنسان ليطغى) والأصل أن يقال إنّه ليطغى لتقدّم ذكر الإنسان فهذا عدول عن مقتضى الظاهر بايراد اسم الظاهر مورد الضّمير كما مرّ.

الجملة خبريّه استعملت فى معناها الحقيقى و هو الإخبار بأنّ الإنسان ليجاوز الحدّ فى الخروج عن طاعته تعالى فهى من قسم فائدة الخبر و إنكارية و لذلک أورد ثلاثة مؤكّدات و هى «إنّ» و «اللاّم »و إسميّة الجمله و إنّما كان المقام مقام الإنكار لأن الإنسان منكر لطغيانه عند إنعامه تعالى عليه بتلک النّعم العظيمه و اللاّم فى الإنسان وردت للدلالةعلى الحقيقةو هى الأصل فيها و من ذلک قوله تعالى إنّ الإنسان لظلوم كفار.

والمسند فعل وليس باسم فيدلّ على حدوث الطغيان بسبب الاستغناء و آنّ الإنسان ليس كذلک بحسب طبعه .

(أن رآه استغنى) أن حرف مصدرىّ و نصب وهى مع مدخولها فى تأويل مصدر مفعول لأجله ورآه فعل ماض و الفاعل هوو الهاء مفعول به أوّل وجملة استغنى مفعول به تان والهاء تعود على الإنسان ومعناه أن رأى نفسه و عبارةُ إبن خالوية جيّدة قال فإن قيل لک فهو يجوز أن تقول زيد ضربه و الهاء لزيد فقل ذلک غير جائز إنّما الصّواب ضرب زيد نفسه لأن الفاعل بالكليّة لايكون مفعولاً بالكليّة وإنّما جاز ذلک فى أن رآه لأنّه من أفعال الشک[٧].

ليطغى واستغنى بينهما السجع المطرّف لاتفاقهما فى الحرف الأخير واختلافهما فى الوزن **(إنّ إلى ربّک الرّجعى)** الرّجعى و المرجع و الرجوع واحد أى مصيرهم و مرجعهم إلى الله فيجازيهم الله على الطاعات بالثّواب و على المعاصى

---

٦ – محمد حسين ، الطباطبائى ، الميزان ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٤.

٧ –محى الدين ، الدّرويش ، اعراب القران الكريم و بيانه ، ج ١٠ ، ص ٥٣٠.

بالعقاب[۸] جیء بالاسم الظاهر بدل الضمیر و الغرض من العدول إلقاء المهابة فی نفس السامع .

اِستعمل ضمیر المخاطب فی غیر المخاطب المعیّن علی خلاف الأصل لیعّم کلّ إنسان بنحو البدل کقول بشّاربن برد .

إذا أنت لم تشرب مراراً علی القذی ظمئت و أیّ الناس تصفو مشاربه

وفی الآیة التفات و ذلک للعدول من أسلوب الغیبة إلی الخطاب فالأصل أن یقال إنّ إلی ربه الرّجعی وما ذکرنا مبنّی علی أن یکون الخطاب للإنسان لا للنبیّ. وهو الحق لأن النبیّ صلی الله علیه و آله لم یکن منکراً لرجوعه إلیه تعالی کی یؤکد له الکلام قدّم المسند علی المسند إلیه لتعجیل المساءة .

اِستعمل الجمله الخبریة فی غیر معناها أی فی الوعید علی طریق المجاز المرکب بغیر الاستعارة.

(أرأیت الذی ینهی عبداً إذا صلّی ارأیت إن کان علی الهدی أوأمر بالتقوی أرأیت إن کذّب و تولّی ألم یعلم بأن الله یری) نزلت فی أبی جهل و معناه أخبرنی عمّن ینهی عبادالله عن صلاته إن کان ذلک النّاهی علی طریقة سدیدة فیما ینهی عنه من عبادة الله أو کان آمراً بالمعروف و التقوی فیما یأمر به من عبادة الأوثان کما یعتقد وکذلک إن کان علی التکذیب للحقّ و التّولی عن الدین الصحیح کما نقول نحن فإن قلت ما متعلق أرأیت قلت الذی ینهی مع الجملة الشّرطیة وهما فی موضع المفعولین فإن قلت فأین جواب الشّرط قلت هو محذوف تقدیره إن کان علی الهدی اوأمر بالتقوی ألم یعلم بأن الله یری و إنّما حذف لدلالة ذکره فی جواب الشرط الثانی[۹] و آما « ارأیت »الثانیة فزائدة و أمّا الثالثه فمفعولها الأوّل محذوف و مفعولها الثانی الجملة الاستفهامیه و هی «ألم یعلم بأن الله یری».

۸ -محمد بن حسن ، الطوسی ، التبیان ، ج ۱۰، ص ۳۸۰.

۹ - جارالله ،محمود بن عمر ، الزمخشری ، الکشّاف ، ج ٤ ، ص ۷۷۷.

تكرير «أرأيت »الثّانيه إطناب لطول الفصل كقوله تعالى إنّى رأيت أحد عشركوكبا و الشمس و القمر رأيتهم لى ساجدين .

استعملت الجملة الاستفهاميه فى طلب الفعل لأن معنى «ارأيت »فى جميعها أخبرنى و أمّا «ألم يعلم بأن الله يرى» أيضاً جمله استفهاميّة لم تستعمل فى معناها أى طلب العلم بشىء عند الجهل به لان ذلک محال فى حقّه تعالى بل استعملت فى الوعيد و الهمزة فيها لطلب التّصديق و لذلک يصح أن يجاب بنعم أو لا».

لم يستعمل «على »فى «على الهدى »الموضوع للإستعلاء الحسى فى معناه بل استعيرمن معناه للإهتداء و الاستعارة تبعيّة لا بتنائها على استعارة أخرى وهى الإستعارة فى المعنى الإسمىّ لهذا الحرف أى مطلق الاستعلاء .

بين ينهى ، صلى ، هدى ، تقوى ، تولّى ، يرى ، سجع مطرّف.

(كلّا لئن لم ينته لنسفعاًبالناصيّة) الجملةالشرطية خبريّة لأنّ العبرة فى الخبريّة أو الإنشائية بالجزاء و الشرط قيد له فيصح أن تقول بدل ذلک لنسفعن بالناصية مع عدم الانتهاء و إنكاريّة لتأكيد ها باللام و النّون المخففة وإنّما كان المقام الإنكار لأنّ الأية نزلت فى أبى جهل الذى كان منكراً للبعث فالكلام جار على مقتضى الظاهر أيضاً و استعملت الجملة الخبريّة فى غير الإخبار أى فى التّهديد بنحو المجاز المركب بغير الاستعارة لأنه استعمال الكلام فى غير معناه لعلاقة غير المشابهة كاستعمال الخبر فى الإنشاء أو عكسه .

(ناصية كاذبة خاطئه) ناصية بدل من «النّاصية »كاذبة و خاطئة نعتان للبدل وصف النّاصية بالكذب و الخطأ مع أنّ النّاصية لا تكون كاذبة و لا خاطئة بل يتّصف صاحبها بهما لأن الأفعال تستند إلى الأشخاص لا إلى الجوارح فيكون إسنادهما إلى الموصوف إسناداً مجازيّاً عقليّاً فى النسبة الناقصة .

(فليدع ناديه) النادی والمنتدی و الندیّ المجلس و منه سمیّت دار الندوة بمکّة و هو المکان الذی کانوا یجتمعون فیه [۱۰]وهذا وعید أی فلیدع أهل ناديه أی أهل مجلسه یغنی عشیرته فلیستنصر بهم إذا حلّ عقاب الله به [۱۱]استعمل الفعل المضارع الذی دخل علیه لام الأمر فی الوعید مجازاً.

« ناديه »مجاز مرسل و المراد أهل النّادی لأن النادی لا یدعی بل یدعی أهله أطلق المحلّ و أرید الحال و قد یطلق الحال و یراد المحلّ کقول الشاعر .

ماأقدر الله أن یدنی علی شحط سکّان دجلةمن سکّان جیحانـــا

(سندع الزّبانية) یعنی الملائکة الموکّلین بالنار الغلاظ الشداد الذین لاینفع معهم أی ناصر فدعاء الزبانیة کنایة عن حتمیّة العقوبة .

قال ابوعبیده و احد الزّبانیة زبینة و قال الکسائی واحدهم زبنی و قال الأخفش واحدهم زابن و قیل زبینة و الزبن الدّفع و النّاقة تزبن الحالب أیترکضه برجلها [۱۲] استعملت الجملة الخبریة فی التّهدید مجازاً.

(کلاّ لا تطعه و اسجدو اقترب) أی لاتطع هذا الکافر أی ابوجهل و أطعه و اقترب من ثوابه بطاعته[۱۳] .

عطفت «أسجد»و «اقترب»علی لا تطعه لأتحاد المسند إلیه و المناسبة فی المسند.

---

۱۰ – حسین بن محمد ، الرّاغب الإصفهانی ، المفردات فی غریب القرآن ، ص ٤٧٨.

۱۱ – محمد حسن ، الطباطبائی ، المیزان ، ج۲ ، ص ٥١٦.

۱۲ –محمد بن حسن ، الطوسی ، التبیان ، ج ۱۰ ، ص ۳۸۲.

۱۳ –نفس المصدر السابق ، ص ۳۸۳.

مصادر البحث

١- التفتازانی ، مسعود بن عمر ، (١٣٧٤هـ) المطوّل ،مکتبه العلميّة الإسلامية ، طهران .

٢- الدّرويش ، محی الدين ، (١٤١٧هـ)إعراب القران الكريم و بيانه ،ج ١٠ ، ط، ٥، دارالإرشاد ، حمص .

٣- الرّاغب الإصفهانی ، حسين بن محمد ، (١٤٠٤هـ) المفردات فی غريب القران ، ط ٢ ، خدمات چاپی .

٤- الزّمخشری ، جارالله ، محمود بن عمر. (١٤١٦هـ) الكشّاف ، ج ٤ ،ط ١ مكتب الإعلام الإسلامی .

٥- الطبرسی ، فضل بن الحسين ، مجمع البيان ، ج ١٠ ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران .

٦- الطباطبائی ،محمد حسين ، الميزان ، ج ٢٠ ، منشورات جماعةالمدرسين فی الحوزة العلميّة فی قم المدّسه .

٧- الطّوسی ، محمدبن الحسين ، التبيان ، ج ١٠ ، دارإحياء التّراث العربی.